



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - WAHAR
Date : 5-8-93
Photo No. : 187

جامعة... عندما يشاؤون

لا احد يجادل في ان رد الفعل العربية على العدوان الاسرائيلي الطويل كانت دون الحد الادنى المطلوب. التخاذل العربي كان صارخا، كما هو متوقع. ومع ذلك، حصل تطور مهم، مع انعقاد مجلس وزراء الجامعة في دمشق واجتماع الاتحاد البرلماني العربي في ساحة النجمة. اهمية التطور ليست في الجانب اللبناني للاجتماعين، وان كان قرار الدعم المالي اساسيا (اذا ما نفذ)، بمقدار ما هي في الجانب العربي، اي بما يتصل بالعمل العربي المشترك. فبعد سنتين وتيف من رفض كل ما هو مشترك بين العرب، تبرهن الجامعة العربية انها ما زالت اظارا صالحا للنقاش وان "التضامن العربي"، على رغم الرفض الكويتي لهذا المفهوم، يظل قابلا للانبعاش.

نسوق هذا الكلام من دون اي وهم، آخذين في الاعتبار فقط تشابك المصالح بين الدول العربية او بعضها. ولا شك هنا ان ما جعل مؤسسات الجامعة تتحرك، ولو ببطء، كان شعور المحورين المهمين على الساحة العربية، اي المحور الخليجي - السعودي والمحور السوري - المصري، بأنهما معنيان، وان لاسباب مختلفة، بما يحصل في لبنان، وان انتماء الحكم في لبنان الى كل من هذين المحورين، ولو بتفاوت، دفعهما بعد تردد الى ابداء الغيرة عليه.

لا ضير في ذلك. ما كان يؤخذ على معسكر الفائزين في حرب الخليج هو امتناعهم حتى عن قولبة الجامعة العربية لمصلحتهم. فطالما ان النظام العالمي الجديد استقر على تغليب بعض العرب على غيرهم، فلماذا لا يعتمد اولئك العرب الى تمتين نظام عربي جديد؟ اي نظام، مهما يكن سيئا، يبقى افضل من حال الضياع والتفتت التي اراد المنتصرون العرب في حرب الخليج الابقاء عليها. وكان تفريغ الجامعة العربية من محتواها افضل دليل على تلك الارادة، على رغم المساعي المصرية (غير المنتظمة) الأيلة الى تنشيطها بعد اعادة تمصيرها.

تري، هل تكون العودة النجولة الى العمل العربي المشترك اللبنة الاولى في عملية اعادة بناء الجامعة؟ يحمل هذا السؤال بلا شك مقدارا كبيرا من التفاؤل. فالانتقال من تنشيط آني من خلال اجتماع غير عادي، الى تنشيط دائم و"عادي" يستلزم ارادة ما زالت مفقودة، بل منطقا يبقى مرفوضا خليجيا وسعوديا، وهو رفض يصل الى حد الهوس عند الكويتيين. لكن الاهم من ذلك ان الدول العربية التي التأم شملها في دمشق وبيروت لا تأخذ في الاعتبار اهم خصائص النظام العالمي الجديد في منطقتنا، وهي انه غلب ويفلب اسرائيل على العرب جميعا، سواء كانوا من مهزومي حرب الخليج او من المنتصرين فيها.

غلب النظام العالمي الجديد اسرائيل لانه قضى على امكان الوصول الى التوازن الردي، او ما يسمى التوازن الاستراتيجي. ويفلبها الآن لأنه يريد ان يبني النظام الاقليمي الجديد على هذه الغلبة، من خلال فرض سلام اعرج واقامة علاقات "طبيعية" في ظل وضع غير طبيعي. لذلك فإن الشرط الاساسي للعودة الى العمل العربي المشترك، في شكل مستديم، هو العودة الى المسلمات. واولى المسلمات هي ان اسرائيل عدو، او لنقل هي "خصم" حتى نستعمل لغة النظام الجديد، وان العرب على تقيض معها ليس لاعتبارات عاطفية، انما بسبب مصالحهم الاستراتيجية والامنية والاقتصادية والحضارية. لكن هذا الوعي ما زال غائبا، ما دام احد لا يفكر بمعاني السلام المراد فرضه وفلسفة المفاوضات الحقيقية. وهكذا يأتي كريستوفر الى المنطقة بعد الاعصار فيجدها اقل مناعة من اي وقت مضى، ويستطيع استخدام الوعيد دونما وازع.

سمير قصير